الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ
عمدة الإذاعة

بيان عمدة الإذاعة

بين ذلّ السقوط وعملقة النهوض.

في "يوميّات" الرفيق جورج عبد المسيح عنوان أوّل: " كنّا خمسة فأصبحنا ثلاثة"، فمن خمسةٍ في مقدّمهم جورج عبد المسيح، الذي أوّل من أدّى قسَم العضوية، كرفيق أوّل في الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ، سقط اثنان في فخّ السياسة النفعيّة الفرديّة، محاولَيْن استغلال الحزب لخصوصيّاتهما، واستمرّ الثلاثة الآخرون، في عمليّة أقلّ ما يقال فيها، إنّها أشبه بمغامرةٍ لم تكن معالمها قد اتّضحت بعد؛ وفي عمليّة الاستمرار تلك، عرف الحزب مجموعاتٍ بعضُها لازمه الإيمان، وبعضها اهتزّ إيمانه، وبعضها سقط على جوانب الطريق التي قال فيها الزعيم :" إنّ طريقنا طويلة وشاقّة، ولن يثبت عليها إلّا الأحياء وطالبو الحياة، أمّا الأموات وطالبو الموت فيسقطون على حافّاتها".

ومنذ تلك اللحظة وعمليّة تنقية الحزب من العناصر المضطربة بإيمانها، والمتخلخلة بنفسيّتها، والمدفوعة بخلفيّة فاسدة، كانت وما زالت مستمرّة حفاظًا على جوهريّة العمل الحزبيّ الباني. في قناعة يقينيّة تامّة بأنّه بدون هذه العمليّة يستحيل الارتقاء إلى مستوى انتصار النهضة على كلّ المعوّقات والمعرقلات.

وفي نظرة فاحصةٍ على تاريخ الحزب يتبيّن لنا كثرة الأعداد التي سقطت على طريق الحياة، كما ضخامة الذين شكّلوا الدرع الواقية له في صراعه مع الباطل.

ويبقى السؤال الجوهري : لماذا سقط من سقط، ولماذا ثبت آخرون على سعة دائرتهم الراسخة والمكينة؟

لا شكّ أنّ القواعد التي وضعها سعادة لاعتناق المبادئ القوميّة الاجتماعيّة هي نفسها تزيد من صلابة الإيمان القوميّ الاجتماعيّ، وهي هي التي ينوء تحتها ضعاف النفوس ويتهرّب من حمل أعبائها ذوو الخلفيّات السوداء الذين يمتطون كلّ حالة يرون أنّها حصان أنانيّاتهم وفرديّاتم، يحققون من خلالها ما ترغبه نزواتهم.

إنّ السقوط على حافّة الطريق القوميّة يعود في أساسه إلى الغرق في مستنقعات الفرديّة الآسنة والقاتلة، ومردّ ذلك إلى أمرين أساسيّين: الأوّل انعدام الوعي القوميّ الملزِم، والأمر الثاني ضعف الإرادة التي يفترض أن ترفع الفرد إلى مستوى المواجهة الصلبة لكلّ موجات الباطل التي لا تفتأ تهدر لتحقيق المكتسبات لصالح هذا الباطل الخادع.

واللّافت أنّ أولئك الذين يديرون ظهورهم للحقّ تحت تأثيرات الأمراض الاجتماعيّة المستشرية، تدفعهم سوءاتهم إلى تبريراتٍ واهية لتغطية خذلانهم وطعنهم قسَمَهم في الصميم، لكأنّ القسَمَ سلعةٌ تُباع وتُشرى، أو هو لباس نبدّله ساعة نشاء وأنّى نشاء. وهذا المسلك الانحطاطيّ يعود إلى انعدام القيمة الأخلاقية التي هي وحدها تصون الإنسان من ارتدادات الباطل وطفرات السوء.

فكيف لمن تسرّبت إلى صفاء نفسه سوءة "الأنا" أن يتحمّل أعباء نهضة قوميّة تفرض على من يعمل لها أن ينقّيَ جوهر ذاته من بقايا الآثام التي علقت على غلاف نفسيته، وشوّهت صفاءها ونقاءها؟

كيف لمن أغراه لمعان الأصفر الرنّان أن يصمد أمامه، ويُؤثِر المصلحة القوميّة الاجتماعيّة على ما عداها؟ فليس سهلًا أن يجعل صلابةَ الإرادةِ تتحدّى المغريات مهما كان تأثيرها،اللهمّ إلّا إذا كان مشبعًا بقوّة الإيمان وصلابة العزيمة؟

وكيف لمن اعتادَ أن يكون في دائرة العيش الناعم أن يرفع راية المواجهة ولا يستسلم لترغيبٍ عائليّ من هنا، أو ترهيبٍ ممّن اتّخذوا من عصا الطاعة وسيلة لتطويع الرافضين؟

وكيف لمن تربّى تربيةً ترفض ما هو محلّي وينجذب إلى كلّ ما هو في دائرة الثقافة الغربية باعتبار أنّ المحليّ لا يفيد والفائدة فقط في ما يأتينا من الخارج، "الفرنجي برنجي"، كيف لمثل هذا أن يكون عنصر بناء لا يخشى الصعاب ولا تقعده ملمّاتٌ مهما عتت؟

وكيف لمن رفع حاجزًا بينه وبين التمحيص والتدقيق معتمدًا السهولة في أقصى درجاتها، مستعينًا بالهيّن للوصول إلى تحقيق رغباتٍ فرديّة، ولا يكترث لما يتطلّب جهدًا ينتج ما هو أبعد من الفرد، ومن المجموعة، بل هو في خطّ البناء المجتمعيّ الشامل.

ثمّ كيف لمن اتّخذ من اللّامبالاة عنوانًا لمسلكه في الحياة أن يعانق القيم ويعمل جاهدًا من أجل جعلها واقعًا قائمًا تنبثق من صميم الحياة الاجتماعيّة وتكون في خدمة هذه الحياة؟

بالمقابل فمن يرى بعين بصيرته لا بدّ وأن يثمّن دور الذين كانوا تلامذةً غيورين، ملتزمين بالقواعد الراسخة التي يقوم عليها البناء المتين. ففي تاريخ الحزب أعلامٌ في البطولة والفكر والاقتصاد والسياسة والاجتماع حملوا لواء المبادئ التي أقسموا على الالتزام بها دون تردّد أو تقاعسٍ أو تهيّب على خطى الفادي سعادة، وهم هم الذين رسّخوا أقدامهم على أرضٍ صوّانيّة لا يؤثّر فيها عامل من عوامل الهلاك.

أيٌّ من هؤلاء، يوم ارتفعت يمناه زاوية قائمة، تحوّلت كلّ الطاقة فيه من ذاتٍ فرديّة إلى واقعٍ اجتماعيّ، فشرفه هو شرف أمّته، وكرامته هي كرامة أمّته، وعزّته هي عزّة أمّته؛ لكأنّه اندمج كليًّا بحياة أمّته، لا يخدش صفاءَه شكٌّ من هنا أو اضطرابٌ نفسيٌّ من هناك، أو تهديد أو ترغيب من هنالك؛ وعلى أكتاف أمثال هؤلاء استمرّ الحزب معبّرًا عن جودة الحياة السورية وتألّق قيمها.

هؤلاء صفت نفوسهم حتى باتت العقيدة بصفائها وشموليّتها جزءًا منهم، ولم يعد للتيّارات المدفوعة من الداخل والخارج أيّ تأثير سلبيّ، بحيث تلهيهم عن جوهر العقيدة، فلا يغرقون في مستنقعات التقعّر التي تلهي ولا تغني أو تحرفهم عن وضوح العقيدة بحجّة تجاوز الدارج والقائم؛ فإذا هم في انحداراتٍ لا طائل تحتها.

العقيدة السوريّة القوميّة الاجتماعيّة يؤزّمها التعقيد ويعلي من قيمتها البساطة المركّزة البانية؛ فالغرق في متاهاتٍ عقائدية مختلّقة تعرقل المسار الحياتيّ وتشوّه الوجه النضر للعقيدة. فلا يظنّن أحدٌ أنّ الولوج إلى عالم التقعّر قد يعلي من شأن المتقعِّر؛ بل بالعكس فإنّه يزيد من حدّة الضبابية التي لا تخدم إلّا الفوضى الفكريّة.

ما يميّز سعادة عن كلّ الذين تناولوا الواقع الاجتماعيّ أنّه بسيط في العمق وعميق في البساطة، شاملُ في تفاصيله، وواضحُ في شموله، صارمٌ في دفاعه عن الحقّ والحقيقة، ليّن مع من تجرفه موجاتُ العاديّ حتى ينقذه من براثن الباطل.

فإذا نجح في عمليّة الإنقاذ يكون قد رفعه من حضيض الذلّ إلى ذروة العزّ، ويغدو من أنقذه إمكانيّة فاعلة في المتّحد الأتمّ يقدّم للأمة ما وهبت.

وإذا فشل في إنقاذه، يضاف الساقط إلى جوقة الساقطين مكبَّلًا بذلّ مثالبه، وبكلّ السوءات التي أصرّ على عدم التنازل عنها؛ ولا ينفعه في سقوطه هذا ندبٌ وبكاء وعويلٌ، أو مكابرة وادّعاءات فارغة لا طائل تحتها.

فقط العودة إلى أصالة الذات انسجامًا مع ما كشفه سعادة هو السبيل الوحيد للخروج من حالة العويل والبكاء والندب، إلى حالة النفسية الصراعية التي لا تركن إلى الخنوع والاستسلام واليأس ولا تسير مع هبوب الرياح وإن عصفت بل ترفع هاماتها في وجه الأعاصير حتى تحقّق ذاتها القوميّة قيمًا عُليا وتجعل من تاريخها سجلًّا مشرقًا توافقًا مع نفسيّتها المشرقة وتحيا سورية كلّها حياة سعادة.

في 1 تموز 2023

لتحيَ سورية وليحيَ سعادة
عميد الإذاعة في الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ
الرفيق نايف معتوق

أجاز نشر هذا البيان رئيس الحزب الرفيقة جوليات فيّاض حبيب.